الصباح الإسلامية
09
العدد 2379 - السنة الثامنة
الإثنين 22 ربيع الآخر 1437 - الموافق 1 فبراير 2016
Monday 1 February 2016 - No.2379 - 8th Year
إعداد : ياسر السيد

من القصص القرآني

مدينة إرم .. ذات العماد

قصة إرم ذات العماد من إحدى القصص التي وردت في القرآن الكريم، حيث إن مدينة (إرم) ذات العماد تقع في اليمن بين مدينتي حَضرَمَوت وصنعاء، والتي قام ببناءها شدّاد بن عاد، كان قوم عاد طوالاً يصل طول الواحد منهم إلى حوالي ستة امتار، وقد كان لعاد ابنان: شدّاد، وشديد ؛ فاخذوا البلدة عنوة و بطشاً، فمات شديد، وبقي شداد، فاكمل غزواته، حتى سيطر على الدنيا، وركع له باقي الملوك، وكان شداد ذا بطش شديد، يعبد الأصنام، واولع بقراءة الكتب القديمة، وكلما صادفته كلمة الجنة ومواصفاتها الخيالية، اراد أن يتحدى الله تعالى كفراً وعناداً، وان يبني مثلها، فاخبر امراءه : «إني مُتخذٌ في الأرض مدينة على صفة الجنة، فاشار في بداية الأمر إلى مائة رجل من قومه، وكل رجل منهم يعمل لديه الف شخص يساعدونه، وامرهم ان يبحثوا في اراضي اليمن، ويختاروا احسنها تربة، واجملها هواء، وزودهم بالمال، وبعث إلى ملوكه يامرهم ان يكتبوا إلى ولاتهم في جميع انحاء بلادهم: ان يجمعوا كل ما في اراضيهم من ثروات الذهب والفضة، والدر والياقوت، والمسك والعنبر والزعفران، ويبعثوها إليه، وأمر الغواصين أن يستخرجوا الجواهر واللآلىء من قيعان البحار والمحيطات، فجمعوا له ثروة كبيرة ووفيرة، واختاروا ارضاً طيبة التربة، سهلة الهواء، واشار عليهم (شداد) بان يبدأوا العمل فيها لبناء جنته، التي يحاكي بها جنة الله، ووضع فيها كل الثروات التي جمعها، وطلاها بالذهب، وانشا وادي ماء عذبة تحتها، واحاطها بسور من اللآلئ، وانشا فيها اشجار من الدر والمرجان والياقوت، حيث استغرق في بناءها خمسمائة عام، وعندما ارسل الله هودا – عليه السلام – ليدعوهم إلى الإسلام، كفر شداد وجحد، ووسوس له إبليس ان يستمر في كفره، وانه استطاع ان يبني مثل جنة الله، حيث انذره هود – عليه السلام –، لكن من شدة بطشه وكبريائه لم يستجب، وعندما علم بان وكلائه انتهوا من بناءها، قام بأخذ موكب معه ليذهب إليها، حيث كان له ابنا مسلما مؤمنا بالله، يُدعى مرتد بن شداد، وعندما قارب ان يصل إلى مدينة إرم اخذته صيحة واحدة؛ فدمرته هو ومن كان معه، فلم يبق لهم اي اثر؛ فمات شداد، وقام ابنه ببناء قبر له، واحاطه بالذهب؛ حتى يثبت له بانه لن ينتفع باي من الذهب و اللآلئ، ووضع على قبره لوحة منسوجة بماء الذهب، كتب فيها على لسان حال ابيه : اعتبرْ يا ايها المغرورُ بالعمر المديد انا شدّادُ بنُ عاد صاحبُ الحصن المشيد وملكتُ الشرقَ والغربَ بسلطان شديد فاتى هودٌ وكنّا في ضلال قبلَ هود فدعانا لو قبلنا كانَ بالامرِ الرشيد فعصيناهُ ونادى: «ما لكم؟ هل من محيد؟» فاتتنا صيحةٌ تهوي من الأفق البعيد فتوافَيْنا كزرع وَسْط بيداءَ حصيد تعتبر قصة شداد بن عادٍ عبرةً وموعظة لكل من يتحدى الله تعالى، ويعتقد بانه يستطيع خلق ما يخلقه الله. وهكذا ستكون نهاية كل كافر جاحد .

قال تعالى: ﴿ الم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد﴾، صدق الله العظيم. توجد الكثير من القصص التي تتحدث عن إرم ذات العماد، ويقال إنها عبارة عن مدينة مفقودة، ويمكن ان تكون اسما لقبيلة، امّا فيما يتعلق بموقع المدينة فيرجّح بعض العلماء انها توجد في الإسكندريّة او هي دمشق، والبعض الآخر يقول إنها جبل رام في الأردن، ومنهم من يقول إنها هي مدينة اوبار في سلطنة عُمان، والقول الرّاجح إنها توجد في اليمن بين مدينتي صنعاء ومدينة حضر موت، وأنّ من قام ببنائها هو شدّاد بن عاد؛ حيث كان قوم عاد يبلغون من الطول الكثير؛ بحيث يصل إلى (6) امتار تقريبا، وكان لعاد ابنين هما: شديد وشدّاد، وقاما بأخذ البلدة بالبطش والعنوة، ثمّ مات شديد. قام شدّاد بن عاد بإكمال غزواته حتّى سيطر على كل الملوك وقتها، واتّصف بالبطش الشديد، وكان من عبدة الأصنام، ومولعاً بقراءة الكتب القديمة، فعندما كان يقرأ وتمرّ به كلمة الجنّة اصبح يريد تحدّي الله عزّ وجل بالعناد والكفر، ويريد بناء مدينة تشبه الجنّة، وقام بإخبار الأمراء بأنّه يريد بناءها؛ حيث حدّد (100) رجل من قومه، وعيّن 1000 رجل آخرين ليقوموا بمساعدته؛ حيثُ قام بأمرهم بالبحث عن افضل الأراضي في اليمن من ناحية الهواء والتربة، وقام بتزويدهم بالمال. وبعد ذلك قام ببعثٍ من يامر ملوكه بأن يجمعوا كل الثروات من الذهب والفضّة والزّعفران والياقوت والدر والمسك وأن يرسلوها إليه، ثمّ امر الغواصّين بأن يقوموا باستخراج اللآلئ والجواهر من البحار والمحيطات؛ حيث جمعوا له كميّات كبيرة من الثروات، ثمّ امر ببناء المدينة، ووضع بها كل ما جمعه من ثروات، وقام بطلائها بالذهب، وقام بإنشاء وادي من الماء العذب تحتها، وقام بإنشاء اشجار من الياقوت والمرجان بها، بالإضافة إلى إحاطتها بسور من اللآلئ؛ حيث استغرق بناء مدينته قرابة (500) عام. وعندما ارسل الله سيّدنا هود عليه السلام ليدعوهم الى الإسلام، جحد شدّاد وزاد كفره، وانذره سيّدنا هود عليه السلام ولم يستجب له، فلمّا انتهى من بناء مدينته التي يشبّهها بالجنة، اراد الذهاب إليها هو وموكبه، وهو في الطريق عندما اقترب من المدينة دمّر هو ومن معه بقدرة من الله تعالى، وكان له ابنٌ مؤمنٌ بالله يسمّى مرتد بن شداد، فقام ببناء قبر لأبيه، وأحاط به كل الذهب الذي جمعه ليثبت أنّ الذهب واللآلئ لن تنفعه، والله اعلم.

نساء في القرآن

زوجة موسى عليه السلام

بعث الله النبي موسى –عليه السلام– إلى بني إسرائيل، حيث كانوا مستضعفين في الأرض يحكمهم فرعون مصر، يقتل ابناءهم ويستحيي نسائهم، وقد أخرج الله نبيه موسى –عليه السلام– من كابوس القتل هذا بقدرته، وليتربى بين أحضان أمه ثم بين يدي زوجة فرعون، حتى إذا كبر وبلغ اشدّه أعطاه الله من القوة والحكمة الشيء الكثير، ولعل قوته هذه هي التي اخرجته من مصر، فموسى –عليه السلام– هو ابن فرعون بالتبني، واخوانه هم بنو اسرائيل حيث من ارضعه، فذات يوم لقي رجلين يقتلان رجلا من بني إسرائيل فاستغاث به، فدافع عنه ما إن ضرب القبطي بقبضة يده، ولقوته –عليه السلام– كانت قبضته مودية بحياة الرجل دون قصد، وحدث مثل هذه المشاجرة مرة ثانية، فخاف موسى عليه السلام من ترقب الاقباط له وقرر أن يخرج من مصر، فخرج منها إلى مدين، ثم ذهب لبئر فيه ماء فوجد الناس عنده يستقون، ووجد الرعاة يسقون اغنامهم من البئر ومن بين جموع الناس وجد امرأتين تحاولان أن لا يختلط غنمهما مع غنم الناس، فجاء إليهن وسأل ما بالكما؟ «فقالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير»، وقد قيل أن البئر عليه صخرة لا يقدر على إزاحتها إلا عشرة من الرجال، ولا تستطيع ذلك النساء طبعا فشكون هذا الحال بسبب ضعف والدهن فهن يقمن بسقيا الغنم. وإحدى هاتين الفتاتين كانت هي زوجته، التي وجدت في موسى عليه السلام نموذجا للشاب المؤمن القوي، ويظهر ذلك في حديثها مع والدها عنه. عندما رأى موسى وضع الفتاتان قام بإزاحة الصخرة وسقا لهما، ثم اوى إلى ظل شجرة وقال «ربّ إني لما انزلت إلي من خير فقير»، وعندما عادت الفتاتان استغرب والدهما من سرعة الوقت فاخبروه بما حدث، فاراد أن يشكره على ما فعل فامر إحدى بناته بالذهاب إليه لوالدها كي يشكره، ثم بعدها قالت إحداهن «يا أبت استأجره» أي طلبت من والدها أن يجعله يعمل عنده في رعاية وسقيا الغنم مقابل أجر، وذكرت مميزات موسى عليه السلام لابيها حين قالت «إن خير من استأجرت القوي الأمين» فسألها وما علمك بانه قوي امين، فقالت إنه قوي لأنه استطاع تحريك صخرة لا يحركها إلا عشرة من الرجال، وأمين؛ لأنه حين استدعيته لتشكره وهو لا يعرف الطريق لبيتنا جعلنا خلفه ونرمي بالحصى على اتجاه الطريق التي يجب أن يسلكها. قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «إنّ موسى آجر نفسه بعفة فرجه وطعام بطنه». فلمّا وفى الأجل، قيل: يا رسول الله أي الأجلين؟ قال: «أبرهما وأوفاهما». فوافق الوالد على عرض ابنته، بل وزاد عليه أن قال لموسى أن يريد أن يزوجه إحدى ابنتيه، وهذا مبدأ صريح لتزويج والد الفتاة لابنته إذا وجد الشاب الصالح المناسب لها، وكان مهرها هو أن يعمل عند والدها لمدة ثمان سنوات وإن أراد الزيادة فعشر سنوات. وقد قيل إنّ هذا الشيخ الكبير هو رسول مدين شعيب عليه السلام، وابنته التي زوّجها لموسى عليه السلام اسمها صفورة، وقد انجب البكر ولدا في مدين واسماه (جرشوم)، ثم سار مع زوجته وفي طريقهما حدثت أن رأى موسى النار وتلقى مسئولية النبوة، وقد رجع حينها يرتجف لزوجته ثم حمل الرسالة، من قصة صفورا زوجة موسى نرى أنّه لا ضير في أن تذكر فتاة مميزات الشاب الصالح، ولا ضير في أن يخطب الوالد لابنته من شاب صالح يرى فيه سعادة ابنته.

التوكل على الله

التوكل على الله تعالى هو : الإعتماد عليه سبحانه جل في علاه، والثقة بما في عنده وحده وقدرته في جلب النفع والخير ودفع الضر والشر . والتوكل له أربعة شروط لا يتحقق إلا بهن مجتمعات، الا وهن: –1 حصر التوكل وتقييده على الله سبحانه وتعالى، فالمسلم يجب أن يتوكل على الله وحده لا شريك له، ويحصر هذا التوكل على الله سبحانه وتعالى، وهذا التقييد ينفي أي توكل على غير الله تعالى في أي أي أمر من أمور الدنيا أو معاملاتها كالتوكل على زيد أو عمرو أو على جهة أو قبيلة معينة. فهذا ليس من التوكل بشيء، بل وإنه قد يقع في باب الشرك الأصغر بالله تعالى. –2 التسليم والإيمان والإعتقاد الجازم بأن الله جل في علاه هو القادر على جلب النفع ودفع الضر، وهو الوحيد القادر على تلبية إحتياجاته وتحقيق رغباته ومطالبه لا شيء سواه. –3 اليقين التام بأنك لو توكلت على الله في أمر معين، فإن الله تعالى سيحقق لك هذا الأمر، إن أخلصت وصدقت وتوكلت على الله حق توكله. –4 الا ييأس المسلم ولا يقنط أبدا فيما يتوجه به إلى ربه من التوكل على الله عز وجل في قضاء الحوائج. والتوكل على الله تعالى يبعث في قلب المؤمن طمأنينة وراحة لا تكون لأحد غير المسلم، وذلك لأسباب كثيرة : أهمها أن المؤمن عندما يعلم أن له رب واحد قادر على تلبية حوائجه، وأن هذا الرب يكون دائما مع عبده، يراه في حركاته وسكناته في افراحه وأتراحه، وأن كل ما يمر به المسلم هو ما بين أمرين : « إذا أصابته سراء شكر، فكان خيرا له. وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له. وليس ذلك لأحد إلا للمسلم»، فالمسلم يعلم يقينا أن كل ما يمر به هو من تدبير ربه له وأن فيه الخير كل الخير، وإن كان أحيانا يرى فيه بعض الشر له،وذلك يدفع المؤمن لأن يزداد في نشاطه وعمله وإنتاجه، لأنه يوقن بأن الله لن يضره، ولا يخاف فساد محصولا أو انهيار بورصات أو إغلاق معابر .. أو ما إلى ذلك من الأمور التي تبعث الشك والريبة في قلوب غير المسلمين، وتدفعهم إلى الوسوسة والشك في كل شيء، والهيبة والخوف والتفكير الدائم فيما لو حصل كذا أو كذا، لأنهم لا يتوكلون على الله، ولا يعلمون أن الله بيده كل شيء، وأن المسلم إن كان صادقا في توكله فلن يضيره شيء في العالم بأسره . ولكن هناك شيء مهم جدا وحساس جدا في هذا الموضوع، ألا وهو (التواكل): وذلك أن يجلس المرء في بيته بدون عمل ويقول أن الله سيرزقني لأنني متوكل على الله وأعبد الله حق عبادته، أو أن يكون هناك قد طرأ أمر ما في حياته، فيجلس لا يفعل شيئا حياله، ويقول أن الله سيحل لي هذا الأمر لأني متوكل على الله، هذا هو التواكل بعينه. فعندما دخل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على ناس من اليمن فوجد رجالا يعبدون الله، يصومون، ويصلون لله تعالى طوال النهار ولا يعملون شيئا في دنياهم ليطعموا أولادهم أو أنفسهم ، فسألهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه: «من أنتم؟» قالوا: نحن المتوكلون» قال: «بل أنتم المتواكلون. إن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، إن المتوكل هو الذي يلقي حبة في الأرض، ويتوكل على الله عز وجل» وأخيرا ، فإن التوكل على الله والثقة أن الموت والحياة بيده وحده لا شريك له، فإن ذلك يدفع المؤمن إلى الإقدام والشجاعة، وعدم الخوف من الموت، والشجاعة في القتال في سبيل الله، والشجاعة والجرأة في قول الحق وإظهاره، ومعارضة الباطل وإنكاره، ذلك لأنه يعلم أن الأجل مكتوب من قبل أن يولد، وإن الإقدام لن ينقص من العمر شيئا، وأن الإحجام لن يزيد من العمر شيئا.

من الحواس التي تساعد الإنسان على الحياة بشكل طبيعي

نعمة البصر .. والحفاظ عليها

خلق الله للإنسان مجموعة من الحواس لتساعده على ممارسة حياته بشكل طبيعي والشعور بمواطن الجمال في الكون، انعم عليه بنعمة البصر، والسمع، واللمس، والتذوق، والشم، حيث تعتبر هذه الحواس الوسيط والأدوات للتواصل بين الإنسان والمحيط الذي يعيش فيه، فهي التي تسمح للإنسان القدرة على رؤية الأشياء من حوله ويدرك الجمال فيها ويميز الجميل من القبيح، والجيد من السيء، وبالتالي يتفكر في خلق الله وقدرته وعظمته وتتجلى أمامه تلك العظمة، وكذلك تسمح له بسماع الأصوات واللغات والكلمات والتمييز بينها وفهمها وترديده، وتساعده على تعلم اللغة والاستمتاع بكلمات القرآن، وتعلم العلوم من خلال معرفة الحروف والكلمات ووقعها على الأذن وإدراك شكل تلك الحروف والكلمات، وهنا تظهر دقة الخالق وحكمته في ربط الحواس ببعضها لتتكامل في تعليم الإنسان وتوسيع مداركه ، فحاستي السمع والبصر تتآزران وتكملان بعضهما البعض لتساعد الشخص في معرفة الأشياء حوله صوتا وصورة، والتفاعل معها، كما خلق حاستي التذوق والشم مكملتين لبعض ومتآزرتين ليدرك الشخص الروائح ويميز بين الروائح العطرة والمسك والعنبر، والروائح الخبيثة المنفرة، وكما التذوق يساعده في تمييز طعم الأشياء من مالح، وحامض، وحلو، ومر، وبالتالي يتمتع بنعم الله من مأكولات ومشروبات يتذوقها فيقبل على اللذيذ ويستبعد المر، أما حاسة اللمس فلها فوائد كثيرة منها تجعل الشخص أن يشعر بالمحيط الذي حوله من حرارة وبرودة، ويشعر بما يلمسه أو يوخزه او يضغط عليه أو يحنو عليه، فيميز ما ينفعه من الأشياء التي يلمسها فيقبل عليها ليستخدمها ويستبعد الأشياء التي تضره من أدوات حادة أو ضاغطة، كما حاسة اللمس تشعره بدفء من يحتضنه ويقبله وتخلق عنده مشاعر وجدانية تجعله يتواصل مع محبيه.

وكما بحاسة اللمس يستطيع الإنسان تمييز الأشياء وإن كانت عينيه مقفلتين من خلال تحديد أبعادها وملمسها ومكوناتها وحجمها فهي كذلك تساعده في معرفة الأشياء وتمييزها.

من الواضح أن نعم الحواس التي وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان من أغلى النعم وهي جزء يسير من نعم الله على الإنسان، يجب على الإنسان أن يحافظ عليها فهي أمانة وهبها الله ليستخدمها في مجالها الصحيح كما ذكر سالفا حيث يمكن تلخيص ما سبق أن الله خلق نعم الحواس عند الإنسان وخاصة نعمة البصر متآزرة مع الحواس الأخرى لتحقق الهدف من خلق الإنسان في الأرض وهي أن يكون خليفة الله في الأرض، ولا تتحقق خلافة الله بالأرض من قبل الإنسان إلا من خلال قدرته على التعلم والتامل، وأدواته في ذلك هي الحواس الخمسة واهمها في التعلم رؤية الأشياء وإدراكها، حيث قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم في عرض قدرة الإنسان على التعلم قوله «وعلم آدم الأشياء كلها ثم عرضها على الملائكة»، فكان تعليم آدم من خلال عرض الأشياء عليه بمعنى رؤية الأشياء، وهذه إشارة واضحة من رب العالمين أن عملية التعلم تحتاج إلى حاسة البصر، وللحفاظ على هذه النعمة يجب عدم استعمال تلك النعمة في المحرمات مثل: النظر إلى عورات الناس ومفاتن النساء، وعدم حضور الأفلام الإباحية والصور الخليعة، أو حسد الآخرين على رزق أو نعم وهبهم الله إياها، أو النظر إلى الآخرين باحتقار أو إستهزاء، وكذلك يجب من الناحية الأخرى تطويع تلك الحاسة في العبادات كقراءة القرآن الكريم والأحاديث النبوية، والتامل في عظمة وحكمة الخالق في الكون والطبيعة واتقانه في الخلق، وفي تعلم العلوم الدينية والدنيوية لنفع البشر وإعمار الأرض وبنائها، وبهذا تحقق خلافة الله في الأرض، وتكون قد صنت الأمانة حق صيانة.